جامع التواريخ

— أو —

« نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة »

— ٨ —

ابو علي عبد الله بن الحجاج وابو بشر النصراني (١) الكاتب يهجو أبا الفضل الشيرازي الوزير (٢) كان من ابيات :

ما كل من طوّل عثنونه ينال فضلاً يا ابا الفضل
طوّلت عثنونك تبغي الغنى ايّ عُلىً في ذنب البغل
ولست أحصي كم رأيت امرءاً ألحى ولكن كوسج العقل

* * *

حدثني ابو اسحاق ابراهيم بن احمد بن محمد الطبري الشاهد قال حدثنا الحسين بن فلان الكاتب النصراني الملقب ببظر أم الدنيا قال قال (٣) لي ابن الفرات أمرُ السلطان المخرقة فاذا استحكمت وتمت صارت سياسة .

* * *

(١) كذا بالأصل ويظهر ان الجملة ناقصة . (٢) قوله (الوزير كان) بمثابة قولنا اليوم (الوزير السابق) . (٣) الوزراء لهلال ص ٦٣ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وحدثنا قال حدثنا قاضي القضاة اي محمد بن معروف قال كنت مع المطيع لله في طيّاره وقد ركب وانا واقف بين يديه مع حاجبه وكلما دعت له طائفة سألني عنها فأُخبره بها حتى دعت له طائفة من الطالبيين فقال مَن هؤلاء فقلت الطالبيون فاعرض عنهم واطرق ساعة وعبس الى ان جازهم ثم قال ياأباعبدالله قلت لبيك ياامير المؤمنين قال العلوية اهلي واقرب الناس اليّ ووالله اني احبهم ولكن اعلم انهم يبغضوني ومثلي لايخاتل ولا يجوز ان أُعاملهم الا بما رأيتَ .

وسمعته يقول سمعت جعفراً الخلدي الصوفي يقول لو تركني الصوفية لجئتكم باسناد الدنيا (١) مضيت الى عباس الدوري وانا حدث فكتبت عنه مجلساً واحداً وخرجت من عنده فلقيني بعض من كنت اصحبه من الصوفية فقال ايش هـذا معك فأريته اياه فقال ويحك تدع علم الخرق وتأخذ علم الورق قال ثم خرق الاوراق ودخل كلامه في قلبي فلم أعد الى عباس . وسمعته يقول سمعت جعفراً يقول سمعت جنيداً الصوفي يقول سمعت سريّاً السقطي الصوفي يقول اعرف قوماً يرون المواساة (٢) بخلاً انما هو الايثار . وسمعته يقول سمعت جعفراً الخلدي يقول وقف سائل على الجنيد ونحن عنده في حلقته فرد عليه فسأله فقال ياهذا الصناعة واحدة ولكنا اظرف . انصرف اغناك الله . فانصرف . وسمعته يقول سمعت جعفراً الخلدي يقول حججت ستاً وخمسين حجة منها عشرون حجة على المذهب يعني

(١) لعله يريد باسناد ابن ابي الدنيا قال العسقلاني في تهذيبه (٥:١٢٩) انه روى عن عباس الدوري . (٢) قال الجرجاني في تعريفاته : المواساة ان ينزل غيره منزلة نفسه في النفع له والدفع عنه . والايثار ان يقدم غيره على نفسه فيهما .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

على التوكل بلازاد ولاراحلة . وسمعته يقول سمعت جعفراً الخلدي يقول من أراد ان يستكتم سوءاله فليستكتم كما فعل رويم فانه كتم حب الدنيا اربعين سنة فقيل له كيف قال كان يتصوف اربعين سنة فولي بعد ذلك اسماعيل بن اسحق القاضي قضاء بغداد و كانت بينهما مودة و كيدة فجذبه اليه وجعله وكيلاً على بابه فترك الصوفية والتصوف والتوكل ولبس الخز والقصب والديبقي والمروي وركب الحمير والبغال واكل الطيبات وبنى الدور واذا هو كان يكتم حب الدنيا لما لم يجدها فلما وجدها أظهر ما كان يكتم من حبها .

وسمعته يقول سمعت ابا القاسم الزيات الصوفي يقول سمعت الجنيد يقول : قال لنا السري السقطي : البريء جريء والخائن خائف والجاني مستوحش .

ومن الشعر الجيد في هذا المعنى :

أمُستوحشٌ أنت لما أسأ ت فاحسن اذا شئت واستأنسِ

* * *

حدثنا ابو عمرو القاسم بن جعفر بن عبد الواحد الهاشمي القاضي قال حدثنا ابو القاسم البزاز قال حدثني بعض أصحاب سهل بن عبد الله التستري الزاهد قال قال لي سهل : الجاهل ميت والعاصي سكران والمصرّ هالك .

في أمثال العامة كن صحيحاً و كن فصيحاً . ومن أمثالهم في هذا المعنى اذا كان بولك صحيحاً فاضرب به وجه الطبيب اي اذا كنت سليماً فلا تبال ما صنعت (١) .

(١) يظهر ان معنى المثل : اذا كنت في حال الصحة فلا حاجة الى طبيب .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

سمعت ابا اسحاق ابراهيم بن احمد الطبري يقول سمعت جعفراً الخلدي يقول سمعت جنيداً يقول سمعت سرياً السقطي يقول الناس في الاعمال يتقاربون وانما قارب من قارب بحسن الأدب بين يدي الله تعالى .

* * *

وحدثني قال كان ابو الحسين بن نصرويه ربما شاورني في الشيء يجري فأستعظم ذلك منه وأقول : مثلك وأنت الشيخ المجرب المحنك المدرب المهذب يشاور مثلي وانا ولدك هذا مما يوحشني منك ويقع لي انك تجريه مجرى الهزل فيقول لي قد رفعك الله عن هذا وانما كان هذا يجري كما قلت لو كنت لاأناقضك في الرأي وتناقضني وأحاجك (١) وتحاجني الى ان يثور (٢) الشيء بيننا فاعمل بما يتقرر فاما وأنت تراني أفعل هذا فلا مظنة فيه ولكن أمثل عندك (٣) نفسي انك شاب ولعمري ان علم الشباب محقور .

* * *

وحدثني قال سمعت ابا الحسين بن نصرويه يقول : وافى ابو محمد المهلبي لما كتب لمعز الدولة — البصرة فاعتقل القاضي اباالقاسم جعفر بن عبد الواحد الهاشمي ليغض منه ويشفي ابا تمام الزينبي الهاشمي لاجل ما كان بينهما من المصاهرة وعداوته لابن عبدالواحد ولم يكن بين ابن عبدالواحد والمهلبي شيء يختص به من عداوة فدخل ابوتمام الى المهلبي مسلماً فلما خرج قال المهلبي لغلمانه

(١) يريد : ولااحاجّك . (٢) لعل الصواب : يتقرر . (٣) يريد انه عند محاجته للشاب يجعل نفسه شاباً . والعبارة غير واضحة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

انظروا الى اين بلغ فعادوا وقالوا قدخرج من الدهليز وانصرف فقال: أقبضُ على مثل ابن عبد الواحد لا لشيءٍ الا لاجله ويدخل اليَّ وهو معتقَل عندي فلا يكون فيه من المروءة ما يدخل اليه ويعرض نفسه عليه ويتكفل بامره ويسألني فيه ويكون سبب اطلاقه ويسترقه بذلك ؟ قم يابا الحسين فخذ بيد ابن عبد الواحد الى منزله فقد أطلقته قال فمضيت الى ابن عبد الواحد وهو في الحبس فحدثته بما جرى وجئت به الى المهلبي فشكره وانصرف الى منزله.

* * *

وحدثني قال سمعت ابا الحسين بن نصرويه يقول : حضرت مجلس المهلبي وقد دخل اليه جعفر بن عبد الواحد فلقيه في وجه مقطب وقصر به ثم جلس وأخرج من كمه رقعة فتأملت التثاقل والتكره في وجهه فقرأها ووقع فيها ثم أخرج أُخرى وأُخرى الى ان عرض عليه عدة رقاع فوقع وكلما وقع في واحدة انبسط وجهه في وجه ابن عبدالواحد الى ان تكاملت الرقاع ثم قام ابن عبد الواحد ودخل ابوتمام الزينبي فرفعه المهلبي أتم رفعة واهتش له فأقبل عليه بوجهه وأخرج رقعة فعرضها عليه فوقع له وأخرج عدة رقاع وكان كلما أخرج رقعة ووقع فيها ظهر في وجهه الكراهية والتثاقل الى ان فرغ من الرقاع فأخذها ابوتمام وقام فأقبل المهلبي وقال يابا الحسين شتان بين الرجلين دخل اليَّ ابن عبد الواحد فعملت لان أُقصيَهُ بما عاملته من قلة الرفع والتقرّب فعرض عليَّ اول رقعة فاعتقدت قبل قراءتها ان أردها فلما قرأتها وجدتها لحاجة غيره فاستحييت ان يكون أكرم مني وقد بذل جاهه لمن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

سأله سوءالي مع ما يعلمه بما له عندي فما منعه ذلك أن يستميح بجاهه للسائل وأبخل انا بما أقدر عليه فيكون أكرم مني فأنفت من ذلك ووقعت له ثم توالت رقاعه فوجدت جميعها حوائج الناس ما له ولا لأحد ممن يخصه شيء منها فوقعت في جميعها ونفسي سمحة بذلك وقد نبل في عيني وتذممت من ردها وقد دخل هذا فعاملته من الاكرام بما رأيت لما بيني وبينه فعرض رقاعه فوجدت اولها في شيء يخصه فوقعت له وكلما عرض رقعة تطلبت ان يكون فيها شيء لغيره فأقضيه له وأجعل به محمدة عليه فما وجدت الجميع الا له فيما يخصه فكرهت ذلك له وانحط من عيني ولم أستحسن رده لما بيننا فوقعت له فكيف يمكنني ان أرفع ممن هذا سبيله وأضع ممن تلك سبيله ٠

* * *

سمعت ابا اسحاق يقول سمعت جعفراً الخلدي يقول سمعت الجنيد يقول سمعت السري السقطي يقول : فاكهة القر (١) الغيبة ٠ وسمعته يقول سمعت جعفراً الخلدي يقول سمعت الجنيد يقول سمعت السري السقطي يقول : اشتهي منذ ثلاثين سنة شهوة ماقدرت عليها فقيل له ماهي قال اشتهي آكل أكلة لا يكون فيها لله عزّ وجل عليّ تبعة ولا لمخلوق ٠ فما وجدت ذلك ٠

* * *

(١) لعله : القرب ٠ والقرب والغيبة من اصطلاحات اهل التصوف ٠ او لعل صوابه فاكهة القراء الغيبة والقراء جمع قاريء يعنون بهم الفقهاء ٠ اوالقرّ بمعنى البرد اي ان الغيبة تنوب في فصل الشتاء عن الفاكهة كما يقال النار (فاكهة الشتا) ٠

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وسمعت ابا اسحاق يقول سمعت بعض شهود الحضرة القدماء يقول : كنت بحضرة ابي عمر (١) القاضي وجماعة من شهوده وخلفائه الذين يأنس بهم فأحضر ثوباً يمانياً قيل له في ثمنه خمسون ديناراً فاستحسنه كل من حضر المجلس فقال ياغلام هات القلانسي فجاء فقال اقطع جميع هذا الثوب قلانس واحمل الى كل واحد من أصحابنا قلنسوة ثم التفت الينا وقال انكم استحسنتموها باجمعكم ولو استحسنه واحد لوهبته له فلما اشتركتم في استحسانه لم أجد طريقاً الا ان يحصل لكل واحد منكم واحدة منها .

* * *

حدثني ابو الحسين محمد بن محمد بن اسماعيل بن شاند الواسطي قال كان ابو قرة الحسين بن محمد القنائي الكاتب قد كتب لابي علي كتاب (٢) بن العباس الديلمي المعروف بالكوسج ضامن واسط برسالة الوزير ابي محمد المهلبي ومشورته عليه بذلك ثم استوحش منه فاستتر منه يومين او ثلاثة وراسله فأمنه وظهر فكتب ابو قرة الى المهلبي يخبره بعد ظهوره وسبب استتاره لئلا يهجن أخباره عند (٣) ابي علي قال فوقع بخطه على ظهر الكتاب توقيعاً قرأته فكان « أحسن الله اليك كما أحسن توفيقك فلتسألن (٤) نفسك فاني عونك ومن ورائك ان شاء الله » .

* * *

(١) بالاصل : عمرو . (٢) لعله كلاب . (٣) لعله : عن . يعني لوجاءته عن ابي علي . (٤) لعل الصواب : فلتسألُوَنَّ أو معنى لتسألن لتحاسبن .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وحدثني ايضاً قال كان المهلبي في بعض انحداراته الى البصرة وهو وزير أضاق فأخذ غلة عظيمة بعشرة آلاف دينار لابي وجدها بالبصرة واخذ غلات التجار المحدورة من دستميسين وواسط وغلات خلق كثير وباعها وصرفها في دخل وخرج المملكة فأشير على ابي بالاصعاد الى سبكتكين الحاجب ومسألته يخبر معز الدولة بذلك فيأمر بارتجاعها منه فخالف ابي وانحدر الى المهلبي فتلقاه بالابلّة . قال : فلما صعدت اليه هش بي وسر سروراً عظيماً وقال ماجاء بك فقلت بلغني ان الوزير أيده الله اخذ غلة وجدها لي بالبصرة فسررت بذلك لتقديري انه شرفني بهذه الحال وبسط يده في مالي كما بسطها في مال نفسه وأوليائه اذا احتاج الى أموالهم وتشرفت بذلك الى ان بلغني انه أخذ مع مالي أموال التجار وأصحاب الضياع وأصاغر الناس من اهل دستميسين وواسط فأقلقني ذلك وعلمت ان هذا لو كان على سبيل الانس لخصني به سيدنا الوزير ولم يشرك فيه معي هذه الطبقة التي لا يجوز لمثله ان يأنس بها في قرض ولا استعانة وانما هم للمصادرات فقط فخفت ان يكون جميل رأيه قد استحال في تخليطي بهذه الطائفة فجئت مستصلحاً لرأيه . وواقفاً تحت أمره . قال : فأعجبه قولي جداً فقال لي يا علي (١) أنت والله مقبل (وكررها مراراً) قبل ان تدخل اليّ بلحظة حضرني من قال انك قد أصعدت الى الحاجب سبكتكين لتشاكني (٢) اليه فاعتقدت لك كل قبيح وعملت على نصرة فعلي ان جرى فيه كلام بكل مايجوز ان ينصر به مثله فانا

(١) قد سبق ان اسم الرجل محمد . (٢) لعل صوابه لتشاكيني أو لتشكوني .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أفكر في ذلك اذ استؤذن لك عليَّ فدخلتَ فسحرتني ووالله لاخرجتَ من هذا الموضع أوأصلك(١) الى مالك أو اكثره وأقيم لك بالباقي وجوهًا ناضة وجذب الدواة فكتب الوجوه بما يعجل ويسبب وفرغ من ذلك وامر بانشاء الكتب وسبب لي بالباقي على شباشي الخوارزمي مولى معز الدولة ضامن البصرة فأخذته في مدة قريبة واصعدت الى واسط ٠

* * *

حدثني ابو بكر بن جعفر السواق احد تجار الكرخ ببغداد المشهورين باليسار والستر وحفظ القرآن ووجه من وجوههم قال : كان عليَّ وعد بنفدة لابن عبدان الصيرفي « وهذا رجل باقٍ الى الآن من وجوه الصيارف بدرب عون من المياسير » فأخرت إنجازه لضرورة لحقتني ولم تكن عادتي جارية معه بمثل ذلك فجاءني يقتضيني وقال في عرض الخطاب أقول لك يا ابا بكر كما قال الله « وشديد عادة منتزعة » فقلت انا لله ما قال الله عزَّ وجل هذا قال فاستحيا مني وقام فما عادالي ّ اياماً فلما حضرت الدراهم أنفذتها اليه ٠

و كان عندنا بالبصرة رجل من التجار مستور يعرف بابي علي بن سعدان احد الباعة في دار البطيخ موسر يركب وينبسط في المجالس وفي الكلام فأخبرني ابو طلحة الازدي صاحب بني المثنى شيخ مستور قال رأيته مرة ونحن جلوس في دهليز جعفر بن عبدالواحد القاضي ننتظر الاذن عليه وقد حضرت العصر فقام كل واحد منا فصلى وقام ابن سعدان فصلى صلاة لم أر قط أسخف منها فقلت له

(١) لعل صوابه : أوصلك ٠

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ياباعلي هذه ليست صلاة فأحسن صلاتك فان هذه الصلاة كما قال ابن المعتز:

صلاتك بين الملا نقرة كما اختلس (١) الجرعة الوالغ

فقال لي ياباطلحة أعزك الله هذا فضول لانعرفه: نحن نصلي صلاة التجار فقلت له هذا أعجب كأن الله عزّ وجل فرض على التجار صلاة غير الصلاة التي فرضها على سائر عباده. وتمام الشعر لابن المعتز مشهور وكان النميري نديمه صلى بحضرته صلاة سخيفة ثم سجد بعدها سجدة طويلة فقال ابن المعتز ارتجالاً البيت الاول وتمامه:

وتسجد من بعدها سجدة كما ختِمَ المزود الفارغ

* * *

حدثني محمد بن عدي بن زحر البصري جارنا بها قال رأيت أبا اسحاق ياسين رجل كان ينزل بالقرب من المسجد الجامع بالبصرة وقد حدث في آخر عمره يناظر رجلاً في الجامع وهو يقول له قال النبي (٢) صلى الله عليه وسلم «من برّ يوماً بربه والدهر لا يغترّ به».

«للبحث صلة»

(١) في الديوان ٢ : ١٦ استلب. (٢) كأن الغرض من هذا الخبر التعجيب من رواية ابي اسحق لهذا الحديث مع انه ليس بحديث.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net